Adıyaman Üniversitesi
İslami İlimler Fakültesi
İslami İlimler Araştırmaları Dergisi
1 (2017/2), 213-238

بنية الحجاج وآليات بيانها في سورة "النبأ"

(دراسة تطبيقية)

أمير فاضل سعد العبدلي*

ملخص.

يدرس البحث بِنْيَة الحجاج وآليات بيانها في سورة النبأ، وهو لا يستهدف تتبع طروحات العلماء والباحثين فيما هو متعلق بالحجاج قديماً وحديثاً؛ بل هدفه التأكيد على أن الحِجَاج خطاب مُقَنّن، وحوار موجَّه، غرضه التأثير والإقناع، والتأكيد –كذلك– على أن الحِجَاج القرآني هو حجاجٌ بلاغيٌّ مُبِينٌ، وخطابٌ يراعي أحوال المتلقِّين لهذا الخطاب، ومقاصده التأثير فيهم ببيانه، وإقناعهم بقضيته؛ ثم التأكيد عليهم للأخذ بها...

وقد اتسم الحِجَاج القرآني **بالشمول، والاتساع، والعمق**؛ ومِنْ ثَمَّ وظَّفَ أساليب متعددة ومتنوعة تؤَسّس لِفَهْم المتلقي وإقناعه؛ وتستنهض تفاعله الإيجابي معها..

الكلمات المفتاحية: الحِجَاج، الحجة، البرهان، البيان، البلاغة، الإعجاز، القرآن ..

"NEBE" SURESİNDE DELİLLERİN YAPISI VE AÇIKLAMA YOLLARI (UYGULAMALI BİR ÇALIŞMA)

Özet.

Bu çalışma, Nebe Suresi'ndeki delillerin yapısını ve bunların açıklama yöntemlerini ele almaktadır. Çalışma, bilim adamları ve araştırmacıların eski ve modern delillere ilişkin görüşlerini takip etmeyi amaçlamamakta; Bunun yerine delillerin, etkileyen ve ikna eden, yönlendirilmiş birer diyalog ve kodlanmış birer konuşma olduklarını vurgulamaktır. Çalışmanın vurguladığı diğer bir husus, Kur'an delillerinin, muhatapların durumlarını gözeten bir hitab ve apaçık edebi deliller olduğudur. Bu hitabın amacı ise ifadeleriyle muhatapları etkilemek ve onları ikna etmektir. Sonra da onların onu almasını onaylamaktır.

Böylece Kuran argümanları kapsamlılık, genişlik ve derinlik olarak nitelendirilmiştir. Bundan böyle muhatabın anlaması ve ikna olması için birçok ve çeşitli metodlar kullanmış ve onu olumlu etkileşime yöneltmiştir.

Anahtar Kelilmeler: Deliller, Delil, Burhan, Açıklama, Belâgat

* أستاذ مشارك, جامعة الحديدة، اليمن, البريد الالكتروني (afsk70@yahoo.com)

Adıyaman Üniversitesi
İslami İlimler Fakültesi
İslami İlimler Araştırmaları Dergisi
1 (2017/2), 213-238

THE DEBATE STRUCTURE AND ITS MEANS IN THE SURATE "AL-NABA" (AN APPLIED IMPLEMENTATION)

Abstract.

The purpose of this study is to emphasize the structure of the debates in the Surate Naba'. But the researcher does not aim to examine the thoughts of old and new experts around the Surate, on the contrary his purpose is point out that the debate of the Qur'an is a coherent speech, directed dialogue whose purpose is to influence and persuade and also he tries affirm - as well - that the debate of the Qur'an is a clear rhetoric which takes into account the conditions of the recipients of this speech and its intention to influence them with its statement, and convince them of its case and then to confirm them to take its styles.

The Quranic debates have been characterized by comprehensiveness, breadth and depth; it has therefore employed various and varied methods that establish the understanding and persuasion of the recipient.

Keywords: Debate, Proof, Clearness, Rhetoric, Inimitability, Qur'an.

أولاً– البادئة:

إن قرآننا ينتظم حياتنا، ويتنفس به وَعْيُنَا، ويتشكل به فكرنا وهُوِيَّتنا، وهو المعجز في أسلوبه فلا يرقى لبيانه لسان، ولا يدرك مداه إنس ولا جان، يتسع لحقائق الوجود وأحوال الإنسان ومآلاته كلها؛ ومن ثم فإن هدف البحث دراسة هذه المعاني السامية في أداء القرآن الكريم، وبيان أدائه المبين، بتناول بنية حِجَاجه في سورة النبأ وآليات بيانها للمعنيين بالخطاب ثم أثرها فيهم؛ إذ إن القرآن الكريم خطاب موجه للمخاطبين للتأثير فيهم، وإقامة الحجة عليهم؛ وقد وظّف آليات بيانية عدة لتحقيق هذه الغايات[1]، واستفاد منها في بناء حجته، وبيان فكرته، وتحقيق مقاصده .

إن البحث لا يستهدف تتبع طروحات العلماء والباحثين فيما هو موصول بالحجاج قديماً وحديثاً، بل هدفه التأكيد على أن الحِجَاج خطاب مُقَنّن، وحوار موجَّه، مراده التأثير والإقناع، والتأكيد –كذلك– على أن الحِجَاج القرآني هو حجاج بلاغي مُبِين، وخطاب يراعي أحوال المعنيين بهذا الخطاب، ومعطى الحياة التي يعيشونها، ومقاصده التأثير فيهم ببيانه، وإقناعهم بقضيته؛ ثم توجيههم للأخذ بها..

ثانيًا– تأسيس المفاهيم:

الحِجَاجُ –في اللغة– من حاججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها، **والحُجّة**: ما دُفِعَ به الخصم، و**الحجة**: البرهان، و**الحجة**: الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة[2]، وصيغة "**الحِجَاجِ**" تفيد مشاركة أكثر من طرفٍ في الحوار وتقديم الحجج؛ لتفيد بهذه المدافعة دفع الحجة بالحجة.

و **الحِجَاجُ** –في الاصطلاح– هو "ما دل به على صحة الدعوى"[3]؛ ومن ثم فإنه يركز على ما يُثْبِتُ قضية، أو يُدْفَع به حكم ما، أو يُبْنَى عليه موقف.

وورد **الحِجَاجُ** – عند العرب — قريبًا من معنى الجدل، ففي كتاب الكليات: "الجدل هو عبارة عن دفع المرء خصمه. وهو لا يكون إلا بمنازعة غيره"[4]، وقال نجم الدين الطوفي":وموضوعه –أي الجدل– هو الأدلة من جهة ما يبحث فيه عن كيفية نظمها وترتيبها على وجه يوصل إلى إظهار الدعوى وانقطاع الخصم، وغايته رد الخصم عن رأيه ببيان

1 ينظر، بن عيسى، عبد الحليم: البيان الحجاجي في إعجاز القرآن، ص:33

2 ابن منظور: لسان العرب، مادة(حجج)، وينظر، ابن فارس :مقاييس اللغة، مادة (حجج)

3 الجرجاني: التعريفات، تح: إبراهيم الإبياري، ص482

4 الكفوي، أبو البقاء الحسيني: الكليات، ص:66

بطلانه"[5]، وقال ابن سينا: أما المجادلة فهي "مخالفة تبغي إلزام الخصم بطريق مقبول محمود بين الجمهور"[6].

و**الحِجَاجُ** في المعجم الفلسفي هو "سلسلة من الأدلة تفضي إلى نتيجة واحدة، أو هو طريقة عرض الأدلة وتقديمها"[7].

وعرف (بيرلمان) **الحِجَاجَ** بقوله: "مجموعة من الأساليب أو التقنيات التي تقوم في الخطاب بوظيفة حمل المتلقي على الإذعان بما يعرض عليه، أو الزيادة في حجم هذا الإذعان"[8]؛ ومن ثم فإن موضوع نظرية **الحِجَاجِ** عنده هو "دراسة التقنيات الخطابية التي تحمل الأذهان إلى التسليم لما يعرض عليها ..أو الزيادة في حجم ذلك التسليم"[9].

و**الحِجَاجُ** عند (مايير) هو: ''استغلال ما في الكلام من طاقة وثراء''[10]؛ ومن ثم فإنّ "**الحِجَاجَ** له بعد جوهري في اللغة؛ لأن كل خطاب مهما كان نوعه يتجه لإقناع المتلقي وإذعانه"[11].

ويضيف (طه عبد الرحمن) إلى دلالة **الحِجَاجِ** "الاختلاف بين المرسل للرسالة اللغوية والمتلقّي لها، ومحاولة الأول إقناع الثاني بوجهة نظره؛ بتقديم الحجة والدليل على ذلك، إذ يعرفه بقوله: "كل منطوق موجّه إلى الآخر لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"[12]؛ ومن ثم يؤكد على أنه "لا خطاب بغير حجاج، ولا مُخاطِب من غير أن تكون له وظيفة المدعي، ولا مخاطَب من غير أن تكون له وظيفة المعترض".

إن **الحِجَاجَ** هو عملية فكرية ذات هدف إقناعي؛ ومن ثم فإنه خطاب موجَّه للتأثير على آراء المخاطب وسلوكياته للحصول على عمل ما أو الإعداد له، وللتأثير اللغوي وفعاليته الحجاجية لا بد من إدراك ملابسات السياق، وتفاعل المعاني مع مقام التواصل، ثم الأخذ بتقنيات لغوية مخصوصة ومناسبة له؛ ومن ثم يلزم فحص الخطابات الحجاجية بحثًا في الأفعال الكلامية ومقاصدها السياقية[13]، ثم طرح الحجج النافذة والمؤثرة للخطاب اللغوي حتى

5 الطوفي، نجم الدين:عَلَم الجذل في علم الجدل، ص:4

6 (الرئيس ابن سينا: الشفاء (كتاب الجدل)، ج1، ص:23

7 بوحادي، خليفة: اللسانيات التداولية، ص: 87.

8 Perelman et Tyteca , Traite` de 1`Argumentation. P.11.

9 I bid, P.5.

10 Michel Meyer, Questions de R he`torique, P.143.

11 Michel Meyer, Logigue, Langage .P.136.

12 ينظر، طه عبد الرحمن : اللسان والميزان، ص:228.

13 ينظر، نعمان بو قرة : نظرية الحجاج، ص: 142، وينظر، الشهري، عبد الهادي بن ظافر: استراتيجيات الخطاب، ص:476

يتحقق الاقتناع الفعلي بالقضية المطروحة.

والهدف الأساسي "للخطاب الحِجَاجِي" هو الوصول إلى إقناع السامع بفكرة قد أخذ منها موقف الرافض أو المتشكك، ثم إثباتها أو نقضها[14]، فنحن في نظر (إيفانوكس): نعيش لحظة الإقناع، والتركيز على أدواته[15]، إذ يقوم المتكلم بِنَقْض الفكرة المسيطرة على ذهن المتلقي، ثم إحلالها بالفكرة التي جيء بالحجة لإثباتها؛ ولهذا فإن كل الذين تعرضوا لتعريف الحُجَّة بينوا أنَّ "الحجاج يستهدف استمالة عقل المتلقي، والتأثير على سلوكه وإقناعه"[16]؛ ولهذا يستلزم الحِجَاج'' دراسة طبيعة العقول، ثم اختيار أحسن السبل لمحاورتها، وتحقيق انسجامها الإيجابي مع الطرح المقدم لها .."[17].

وتسهم في "**نظرية الحِجَاجِ**" جوانب مختلفة لا تتعّلق باللغة فحسب، بل ترتبط- أيضًا- بالجانب النفسي، والاجتماعي، والثقافي .. وغيرها من الجوانب التي تُشَكِّل الخطاب اللغوي الحجاجي، وقد ذكر (أرسطو) ثلاثة أنواع من التصديقات التي قد يلجأ إليها المتكلِّم من أجل الإقناع "منها ما يكون بكيفية المتكّلم وسمته، ومنها ما يكون بتهيئة السامع واستدراجه نحو الأمر، ومنها ما يكون بالكلام نفسه .."[18].

فيجب على المتكلِّم أن يوفِّي ما تستدعيه الصياغة اللغوية، وتقديم تصوره في المساحة الملائمة لها، ثم مَنْح هذه الصياغة القدر المناسب من الحجج التي لا يشكِّل إيرادها في الموضوع مفارقة أو نشازًا [19]، ويجب —كذلك- مراعاة أحوال المخاطب الذهنية سواء أكان خالي الذهن، أم متردداً، أو منكرًا، ثم ما يستدعي كل حال من توظيف تقنيات الحِجاج المناسبة لدفع الشك، أو الجحود أو التردد لدى المتلقي .

إن هذه المعطيات التي يستلزم الأخذ بها في حال تحليل البنية الحجاجية، سيأخذ بها البحث وهو يحلل المعطى اللغوي وآليات بيانه في سورة النبأ، فينظر في الاختيار اللغوي المناسب والمفيد في بيان مقاصده في هذه السورة، ويبرز قوة بيان مستويات بنيته وتأثيرها في المخاطبين

ثالثًا- نص الدراسة:

14 ينظر، الحواس مسعودي: البنية الحجاجية في القرآن الكريم- سورة النمل نموذجًا''، ص: 329

15 إيفانوكس : نظرية اللغة الأدبية، تر: حامد أبو أحمد، ص177

16 جميل عبد المجيد : البلاغة والاتصال، ص:7.

17 ينظر، ولد محمد الأمين، محمد سالم ولد سالم: (مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره)، ص:68

18 أرسطو : الخطابة، تح: عبد الرحمن بدوي، ص9

19 ينظر، ولد محمد الأمين، محمد سالم ولد سالم: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره، ص:81

إن موضوع البحث والدراسة هو قول الله (تعالى): (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (1) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (2) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (3)) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (4) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (5) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (6) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (7) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (8) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (9) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (10) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (11) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (12) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (13) وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (14) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (15) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (16) إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا (17) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (18) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (19) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (20) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (21) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (22) لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (23) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (24) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (25) جَزَاءً وِفَاقًا (26) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (27) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (28) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (29) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (30) إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (31) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (32) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (33) وَكَأْسًا دِهَاقًا (34) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا (35) جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا (36) رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (37) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا (38) ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا (39) إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا (40)) النبأ: ١ – ٤٠

وسيعمد البحث إلى تحليل البنية اللغوية في سورة النبأ، ثم يقوم باستكشاف آليات بَيِّنَة حججها، ثم توصيف أنماطها وقوة تأثيرها في المخاطبين، في مستويات دلالية عدة، نناقشها في الآتي:

المستوى الأول :

في الصيغة اللغوية المفردة:

إن في تحليلنا البنية الاستدلالية في سورة "النبأ" نرصد أفعالًا كلامية تؤدي وظيفة حجاجية ودلالية، ومن المفردات التي لها وظيفة حِجَاجية في سورة "النبأ": (مختلفون)، و(يتساءلون)، وصيغ الفعل: (خلقناكم)، و(جَعَلْنَا)، و(بَنَيْنَا)، و(أَنْزَلْنَا)، و(نُخْرِج)، و(كان) .. ومن إمكانات هذه المفردات ودلالاتها المفيدة والمؤثرة في البيان الآتي:

يَتَسَاءَلُونَ – يَسْأَلُونَ:

إنَّ وزن "**يَتَسَأَل**" هو "يَتَفَاعَل"، وتفيد هذه الصيغة اللغوية المفردة معاني المشاركة والمفاعلة، أي أن فعل التساؤل ليس من طرف واحد، بل حصول هذا الفعل من أطراف عدة، نحو "يتقاتلون"، أي: حصول هذا التدافع أو القتل، وممارسة فعله يحصل من أكثر من طرف؛ ومن ثم فإن "**يتسأل**" غير "**يسأل**" في الاستدلال على غياب الحق عن المخاطبين، وخلط الحقيقة وجهلهم بها كذلك، إذ "يسأل" تستلزم طرفًا فاعلًا في مقابل آخر مفعولًا فيطرح عليه السؤال، وبهذا يَثْبُتُ جهل السائل وعلم المسؤول، لكن دلالة المشاركة في "**يتساءل**" تفيد غياب الحق عن الجميع وجهلهم به، وكأن الجميع في تدافع فكري كبير أصبح فيه الجميع سائلًا، وفي الوقت نفسه أصبح الجميع مسؤولًا، ولم نجد جهة معتبرة يرجع إليها الجميع لتزيل عنهم أوهام الشك، وضلال الكفر، وحيرة الجهل؛ ومن ثم تتأكد معاني حيرة القوم، ولغَطِهم في أسئلتهم، وخلطهم للحقيقة، ثم تجسيد هذا اللغط الفكري وحيرتهم وشكهم إلى سلوكيات غير سوية في واقع حياتهم، وهو الاختلاف الذي تشير إليه السورة في "**الذي هم فيه مختلفون**"؛ ومن ثم فإنه في الاستدلال على سفه عقول القوم، وبلادة تفكيرهم، وجهلهم الكبير بأنوار الحق، يبرز الآتي:

أولًا- الاستفادة من إمكانات صيغة ''يَتَسَاءَلونَ'' البيانية

ثانيًا- إضافة ''التساؤل'' ''للنبأ''، و''النبأ الخبر ذو الفائدة العظيمة الذي يحصل به علم أو غلبة ظن ..[20]؛ ومن ثم فإن دلالة هذا المكوِّن اللغوي يعمق استدلالات السياق، ويؤكد تناهي جحودهم للحق، وبعدهم عنه.

ثالثًا- التَّكْثِير الدلالي في خروج الأسلوب الطلبي عن مقتضى ظاهره إلى مقاصد دلالية إضافية جديدة، تفيد الإنكار الشديد على ضلال فِكْر هؤلاء، والتعجب الكبير من انحراف سلوكهم في صيغتي: "عما يتساءلون؟!"، و "عن النبأ العظيم ؟!".

رابعًا- التَّرْجِيع الأسلوبي المُتَهَكِّم، إذ ورد السؤال: "عما يتساءلون؟!"، ثم يعقب بعدها بذكر الذي يتساءلون عنه، وبصيغة سؤال –أيضاً- يستدعى معه معاني التهكم والإنكار، إذ ورد "عن النبأ العظيم؟!" .. وكذلك أفاد هذا التعريض بالجواب بعد السؤال في تفخيم العبارة ..

خامسًا- لم يذكر بعد "النبأ" ما هو موصول به، ولا يدلي بحقيقته، بل يتركه بوصفه العظيم، وينتقل إلى التلويح بالتهديد الملفوف، وهو أوقع من الجواب المباشر، وأعمق في

20 ابن عاشور: التحرير والتنوير، الجزء 30، ص 9.

التخويف"[21].

ووصف الخبر بالعظمة قد يكون هذا الوصف في ذاته، نحو ما ورد في هذه الآية، وقد يكون وصف الخبر بالعِظَم لمآلاته الكارثية في الحياة وأثره فيها، إذ قد لا يرقى الخبر إلى هذه الصفة في ذاته، ولكن عِظَم البلوى التي تحصل به يوصف بهذه الصفة، نحو ما ورد في سورة الحجرات في قوله (تعالى): "**إنْ جَاءَكُم فاسقٌ بِنَبأ فتبيَّنُوا**"[22]، فكان لأثره على منظومة المجتمع القيميّة، وعلائقه الإيجابية، وكيانه المتماسك سبب في وصفه بالنبأ.

الفَصْل – القِيَامَة:

الفصل: هو التمييز بين الأشياء المختلطة، والمعاني المتشابهة والملتبسة، ولقد ورد دلالة "الفصل" في "**إنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا**"، ولم يرد – مثلًا- دلالة "القيامة"؛ لأن معاني الحسم والقطع التي في "الفصل" تناسب معاني التساؤل عن الحق، والشّك فيه، والاختلاف في حصوله التي وردت في مطلع السورة؛ إذ إن الفصل في الشيء موصول بظهوره وجلاء حقيقته التي لا تحتمل الخلط والمواربة والاختلاف في الحكم عليه، وهذا حاصل في اليوم الآخر؛ ولهذا ناسب دلالة "الفصل" في ذكر هذا اليوم، ووصف أحواله؛ وبهذا حقَّقت المفردة أمرين، **الأول**: ناسبت معاني حسم شكهم، وقطع جحودهم للنبأ العظيم، و**الآخر**: عبرت عن عَرْض الخلق للقضاء والحساب، وصورت بعض حالاته النافذة في الحكم.

كان – سيكون:

لقد ورد تعْدِيد دلالة "كان" (6) مرات في آيات القيامة والعذاب، وهذا التَّعْدِيد مفيد في بيان مقاصد الآيات، وتحقيق الكثير من المعاني البيانية التي تفيد في حجاج المخاطب، أبرزها:

أولًا- قوة بيان المفردة، إذ إنَّ الأصل اللغوي لمادة "كون" موصول بمعاني الكينونة والتكوين والحصول، وهذا يناسب المعاني التي يستهدفها السياق، وهي بيان حصول القيامة والعذاب، وتأكيد وقوعه.

ثانيًا- إنّ تعْدِيد ذكر "كَانَ" يفيد تمكن دلالتها في سياق ذكر القيامة وعذاب المكذبين؛ ومن ثم تأكيد حصول البعث ومحاسبة الخلق جميعًا؛ لأنَّ عدول الصيغة اللغوية عن سياق الحال أو الموقف واقعيًا، وتعبيرها عنه بدلالة حصول الفعل في زمن الماضي البعيد لغويًا؛ فيه تأكد حصوله في المستقبل القريب، وتحققه واقعيًا.

21 قطب: في ظلال القرآن، مجلد 26، ج30، ص 3803.

22 الحجرات: 6

ثالثًا- إن "كان" أقامت حجة حصول الفعل تقديرًا وتدبيرًا، إذ إن دلالة الماضي فيه إشارة لتقدير الله (تعالى) لما سيكون من أحوال القيامة والبعث، وما هو مقدر من العذاب للمكذبين، وعلمه (تعالى) بما كان، وبما هو كائن، وما سيكون من أحوال الحياة ومآلاتها.

رابعًا- إن تعْدِيد "كان" يحقق أداء خطابيًا قويًا ينبه المخاطب للنظر في مدلول هذه المفردة، ويناسب تقديم الحجة المؤثرة في المخاطبين.

خامسًا- حينما ورد دلالة "كانوا" في قوله (تعالى): "إِنَّهُمْ **كَانُوا** لا يَرْجُونَ حِسَابًا"، ناسبه في المقابل ذكر دلالة "كنت" في الآية الأخيرة، في قوله: "ويَقُولُ الكَافِرِ يَالَيْتَنِي **كُنْتُ** تُرَابًا".

المستوى الثاني:

في بنية الحجاج التركيبية:

لقد جعل (بريلمان) "البلاغة مطابقة لنظرية الاحتجاج، فحصر الأولى في الأخيرة"[23]؛ إذ إن الأساليب البلاغية تؤدي وظيفة إقناعية استدلالية، وأغراض تواصلية كذلك..[24]؛ ومن ثم فإن ما يهمنا في هذا المستوى الدلالي هو الحجاج البلاغي الذي يخضع في بنائه وترتيبه لقواعد اللغة نحويًا وبلاغيًا، ويتميز بأمرين، **الأول**: خضوع حججه للترتيب والتنظيم، و**الآخر**: اشتماله على البعد الاستدلالي والبعد الإمتاعي[25]، وهذا ما نبين بعض جوانبه في الآتي:

"عَمَّا يَتَسَاءَلُونَ؟!":

يتمتع أسلوب الاستفهام بأهمية كبيرة في بنية الخطاب الحجاجية، إذ يفيد الطلب والاستعلام، ولكنه غالبًا ما يحقق تكثيرًا دلاليًا؛ ليُعَبّر عن أهدافه المتنوعة حسب مراد السياق ومقاصده البيانية[26]، وهذا ما نجده في: "عما يتساءلون ؟"، وفي: "ألم نجعل الأرض مهادًا ؟"، و"والجبال أوتادًا ؟" ... حتى "وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجاجًا؟!"؛ إذ إن صيغ الطلب هذه تحقق المقاصد الدلالية الآتية:

أولًا- استثارة المخاطب، وتهيئته للحكم الذي تقرره السورة، وتشويقه له.

23 ولد محمد الأمين، محمد سالم ولد سالم: (مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره)، ص:57

24 ينظر، صابر الحباشة: التداولية والحجاج مداخل النصوص، ص:50

25 ينظر، حبيب أعراب : الاستدلال الحجاجي، ص 98.

26 ينظر، درنوني: الحجاج في النص القرآني، ص:94.

ثانيًا- لا يكون الخطاب من طرف واحدٍ فقط، ولكن يفترض مع توجيه صيغ الاستفهام أن ينشغل ذهن المخاطب وعقله بأفكار كثيرة موصولة بصيغ الطلب هذه لتجيب عنها؛ فالاستفهام يفرض على المعنيين بالخطاب" إجابة محددة يمليها المقتضى الناشئ عنه، فيتم توجيه الحوار الذي نخوضه معه الوجهة التي نريد؛ ومن ثم يأتي لإجبار المخاطب على الإجابة وفق ما يرسمه له البعد الاستفهامي"[27]؛ ومن ثم يكون للاستفهام دور كبير في العملية الحجاجية، وفي تمكن الخطاب في نفس السامع؛ وإشراكه في عملية الاستدلال، وتكثير دلالاته، وقوة بيانه.[28].

ثالثًا- يُفَعِّل المتلقي للخطاب ويشركه في إنتاج معاني النص؛ إذ إن هذه الصيغ الاستفهامية خرجت عن مقتضى ظاهرها إلى مقاصد دلالية عميقة، وهي أقوى في تأكيد مراد السياق، وبيان معانيه؛ ومن ثم يأخذ المتلقي في تتبع هذه المعاني في هذ الصيغ، واستكشاف دلالاتها ..

رابعًا- إن هذه الصيغ الاستفهامية تفيد التعجب من حالهم في إنكارهم للحق، وتفيد التعليل كذلك، والتعليل من صور الحجاج؛ لأن النفوس "أبعث على قبول الأحكام المعللة من غيرها"[29].

"أَلَمْ نَجْعَل ..؟!":

إن في تعْدِيد ذكر دلالة "جعل" من الآية (6) حتى الآية (16) الكثير من المعاني البيانية التي تفيد في حجاج المعنيين بخطاب هذه الآيات، والتأثير فيهم، أبرزها:

أولًا- **المناسبة الدلالية:** إذ إن المهاد حالة من أحوال ما بعد خلق الأرض؛ ومن ثم ناسبه دلالة "جعل" التي تفيد الصيرورة في طبيعة الأرض، وتغيير أحوالها بعد حصولها، بخلاف فعل الخلق فإنه موصول بالذات، أو بالوصف المقوّم للذات؛ ولهذا يقترن ذكر فعل الخلق –غالبًا- بإيجاد الشيء على غير مثالٍ سابقٍ له.

وكذلك وردت "جعل" موصولة بموجودات قريبة الاتصال بالناس، وتتوارد أحوالها على مدركاتهم دواماً؛ ومن ثم فإن إقرارهم بها أيسر؛ لأن دلالتها قريبة من البديهي[30].

ثانيًا- **اتساع المعني وقوة بيانه:** إذ جمعت صيغة "أَ لَمْ نَجْعَل؟!" ثلاثة مستويات دلالية، الأول: معاني الإقرار، والثاني: حصول الفعل في الماضي البعيد، والأخير: حصوله في الحاضر،

27 ينظر، علوي، حافظ إسماعيل: الحجاج مفهومه ومجالاته، ص:66.
28 ينظر، بن عيسى، عبد الحليم: البيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم – سورة الأنبياء نموذجاً، ص: 192.
29 السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج2، ص873
30 ينظر، ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج30، ص: 30

وإمكانية حصوله في المستقبل كذلك .

فدلالة "نجعل" تفيد حصول الفعل في الزمن الحاضر، واستمرار حصوله في المستقبل القريب والبعيد، ثم نفيه بـ"لم" صرفه للماضي، مع التأكيد على فارق دلالتي الماضي في: "جعل" و"لم نجعل"، إذ إن دلالة زمن الماضي في مفردة "جعل" محددة بذاتها، وثابتة فيها، وخلافه "لَمْ نَجْعَل" فدلالة الزمن ليست محددة بظرفٍ زمني واحد، بل تتسع لزمنين، الأول في معطى "نجعل" ذاتها، والآخر في محمول الصيغة المركبة والسياق؛ ومِنْ ثَمَّ فإنَّ "أَلَمْ نَجْعَل؟!"، تفيد الزمن الماضي، ويُسْتَدعى فيها الزمن الحاضر، وهذا هو فارق البيان بين صيغتي "جَعَلَ" و"لَمْ نَجْعَلْ".

ثم إنَّ أسلوب الطلب بالهمزة خرج عن ظاهره ليفيد التقرير؛ ومن ثم توجيه المخاطب للإقرار بكمال أفعال الله (تعالى)، وقدرته المطلقة في خلق الخلق، وتدبير شئون حاجاتهم وأحوالهم، وتوفير ضرورات حياتهم في الأرض .

ثالثًا- يفيد عطف "الجِبَال أَوْتَادًا" بحرف "الواو" على مهاد الأرض، دون إثبات ذكر "أَلَمْ نَجْعَل؟!" قبلها على اجتماع مهاد الأرض وأوتاد الجبال، واشتراكهما في طبيعة فعل واحد، وفي هذا إشارة إلى أن أوتاد الجبال ضمن تمهيد الأرض، وهي حالة من حالات تمهيدها، ولو وردت صيغة "أَلَمْ نَجْعَل الجِبَالَ أَوْتَادًا؟!" لأفادت اختلاف طبيعة فعلي "جعل"، وأن "جعل" في تمهيد الأرض خلاف "جعل" في أوتاد الجبال؛ إذ إن إسناد الصيغة الفعلية الواحدة لأكثر من فاعل دون تعديدها تفيد —في الغالب- وحدة الفعل في طبيعته وزمنه، وتعديد ذكر هذه الصيغة، وإسنادها إلى أكثر من فاعل تفيد التنوع في طبيعة فعلها وزمنه.

ولقد خُصّت الجبال بالذكر في الآيات، لأنها أقوى حجة، وأكثر تأثيرًا في المخاطبين، فالجبال موضع استعظامهم، ومحل تساؤلهم؛ إذ ورد في ذلك: "يَسْأَلُونَكَ عَن الجِبَالِ فَقُل يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا" ..

رابعًا- **التَّرقي والتَّفْريع**: إذ إنَّ في سياق ذكر "جعل" تقْطِيع دلالي لتتابع دلالاتها وتفريعه، وأوَّل قَطْعٍ دلالي هو بدلالة فعل "خلق"، في "وخلقناكم أزواجًا"، ومع هذا القطع تفريع معنوي جديد، وترقٍ من معانٍ موصولة بمهاد الأرض، إلى معانٍ موصولة بالإنسان نفسه، ثم في هذا التفريع الدلالي تتداعى دلالات "جعل" في: "و**جَعَلْنَا** نَومَكُم سُبَاتًا"، ثم "و**جعلنا** الليل لباسًا"، ثم "و**جَعَلْنَا** النَّهَارَ مَعَاشًا"، وبعد هذا التداعي الدلالي لمفردة "جعل" يأتي قطع دلالي آخر بدلالة "بنينا"، في: "وبَنَيْنَا فَوقَكُم سَبْعًا شِدَادًا"، وبهذا القطع تفريع دلالي ثالث، وترقٍ من معانٍ موصولة بالإنسان وأحواله، إلى معانٍ موصولة ببناء السماء، وإنزال الماء، ثم تستأنف

آيات هذا التفريع في ذكر دلالة "جعل" فورد ذكر "**وجعلنا** سراجاً وهاجًا".

إن في هذه الآيات تفريعًا لأحوال من الخلق والإيجاد، وأنواعه المختلفة، إذ كان بمهاد الأرض وأوتاد الجبال توفير البيئة المناسبة لحياة الإنسان في الأرض، ثم يأتي الترقي إلى أحوال الإنسان وحياته، فورد ذكر "خلقناكم" بين تداعيات "جعل" السابقة، وللاحقة لهذا الفعل، لتؤكد أحوال الحياة الجديدة والمختلفة عن سابقتها، ثم يأتي تفريع ثالث بذكر دلالة "بنينا"، ليؤكد –كذلك– أن ما بعدها من معاني "جعل" موصول بإيجاد آخر غير الإنسان، وإن كان له صلة بحياة الإنسان، واستمرار بقائه في الأرض، إذ ورد ذكر "وجعلنا سراجًا وهاجًا"، وعلة إيجاد السراج الوهاج هو "وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا* لنخرج به حبا ونباتا وجنات ألفافا "؛ وهنا تكتمل متواليات الإيجاد والخلق لموجودات الأرض والسماء، وتتصل حلقة نهايتها ببدايتها، في موضوعها الرئيس، وهو الإنسان.

خامسًا– **دلالة التكوين**: إن تعديد "جعل" في بدايات الآيات، يجعل دلالتها جوهرية في مضامين الآيات التي وردت فيها، وموجهة للتكوين الدلالي لها؛ ومن ثم تأخذ فكر المخاطب وتنبّهه للنظر فيها، والتأمل في حقائقها، واستكشاف مآلاتها.

وكذلك في إعادة ذكرها تنويهٌ بها، والتأكيد على أن معانيها الموصولة بموجودات الحياة الواقعية، وصيرورة هذه الموجودات، وتغير أحوالها، هي محل النظر والعبرة في الآيات.

سادسًا– إن إعادة انتاج دلالة هذه المفردة مرات يحقق أداءً خطابيًا يفيد في حجاج الآيات، ثم إن أسلوب الطلب بالهمزة في: "أَلَمْ نَجْعَل؟!" يوجّه المخاطب للتفاعل مع مُعْطَى الآيات، ثم الإقرار بمضامينها، والإيمان بمعانيها .

الجملة الفِعْليَّة:

إن صيغ الفعل في مفتتح البُنَى التركيبية لتكوين الكون وإيجاد الخلق، وكذلك في آيات هدم الكون وذهاب نظامه ودماره تفيد في تحقيق المعاني الاستدلالية الآتية:

أولًا– إنَّ بناء الكون وإيجاد الخلق فيه هي أحداث أفعال موصولة بظرف زمني محدد؛ ومن ثم جسدت صيغ الفعل وأحداثه متواليات هذه الأحداث وحصولها أكثر من صيغ الجملة الاسمية التي تفيد الثبات.

ثانيًا– إن بزمن حصول الفعل وفاعله نعايش الحدث وأحواله أكبر وأكثر ..

ثالثًا– تفيد متواليات أحداث الأفعال عدم ديمومة الموجودات وثباتها، وتؤكد على متغيرات أحوالها وصفاتها بين العدم والوجود، وبين الحياة والموت، وبين الإيجاب والسلب، وهذه كلها

معانٍ أساسية في استدلالات الآيات في حجاجها المعنيين بالخطاب في هذه السورة..

رابعًا- إن ذكر الفعل يستدعى معه فاعله، وهو موضوع أساسي في حجاج الآيات، وفي تأكيدها على قدرة الله (تعالى) المطلقة في الخلق، وفي البعث –كذلك- بعد الموت .. وهذا الفاعل ورد بضمير الجمع الذي يؤكد معاني الجلال والعظمة والتقدير أكثر وأكبر من المفرد، وهذا ما يناسب مقامي الله (سبحانه وتعالى).

خامسًا- ناسب ذكر الفعل المضارع "أَلَمْ نَجْعَل؟!" المصنوعات الحَرِيَّة بدقة التأمل، واستخلاص الاستدلال؛ ليكون إقرارهم على بصيرة، فلا يجدوا إلى الإنكار سبيلاً، وجيء بفعل المضي في: "خَلَقْنَاكُم أَزْوَاجًا" وما بعده؛ لأن مفاعيل فعل "خلقنا" وما عطف عليه ليست مشاهدة لهم[31].

"كلا سيعلمون":

ونجد في قوة جرس صوت الحرف ومعاني الزجر مؤثرة في ردع المخاطبين في "كَلَّا"، ثم في إعادة ذكر: "**ثم كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ**" ارتقاء في الوعيد والتهديد؛ لأن "ثم" عطف للترتيب الرتبي، ومعناه أن مدلول الجملة الثانية المعطوفة على سابقتها أرقى رتبة في الغرض من مضمون الجملة التي قبلها، وأقوى وعيداً[32]، ويفيد حذف مفعولي يعلمون في: "**كلا سيعلمون**" أن كل شيء يمكن أن يعلمه الإنسان، أو يتعلمه في قريب الزمان أو بعيده داخلٌ في هذا السياق، أو محتمل أن يكون في مفعولي يعلمون"[33].

"جزاءً وفاقًا" – "جزاءً من ربك عطاءً حسابًا":

إن ذكر الشيء موصول بثمرة فعله يفيد الاستدلال ويؤثر في المعنيين بحجاج الآيات، ومن ثم ورد – في الآيات- ذكر مآل أهل الحق والإيمان، في مقابل ما يؤول إليه حال أهل الكفر والإلحاد، وذكر صاحب العطاء في أهل الجنة: "من ربك"؛ لأن المقام مقام تكريم أهلها وتشريفهم، فكان التصريح بصاحب هذا العطاء تكثيراً لفضل الله (تعالى) وكرمه وزيادة فيه؛ لأن ذكر المُعْطِي فيه إشارة لمقدار هذا العطاء، ثم أكَّد معاني سعة العطاء وتعدده وكثرته ورود مفردة "عطاء" بصيغة النكرة؛ لتفيد معاني التعدد والتنوع والكثرة، مع أناقة في التعبير، وجرس صوتي مؤثر في تجانس مفرديتي:(جَزَاء) و(عَطَاء)[34].

31 ينظر، ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج30، ص:29

32 ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج30، ص 12.

33 أمين، بكري شيخ: التعبير الفني في القرآن الكريم، ص 255.

34 ينظر، قطب: التصوير الفني في القرآن، ص 75.

وناسبت دلالات الربوبية في "رَبّ" معاني الجزاء والعطاء، ثم في حصر الخطاب في رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في "رَبِّكَ" – فيه إشارة إلى أنَّ نعم الله (تعالى) ومنحه موصولة بإيمان الناس برسوله إليهم، وتنفيذ دينه فيهم[35] .. ثم يأتي التعقيب بـ :"رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن" لبيان حقيقة الربوبية الواحدة التي تشمل الإنسان، كما تشمل السموات والأرض، وتشمل الدنيا والآخرة كذلك؛ ومن ثم تعبر عن السياق العام للنص القرآني.

"ذلك اليوم":

إن الإشارة بـ "ذلك" إلى دلالة "اليوم" المتقدم ذكره في: "إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا" فيه استحضار هذا اليوم بالإشارة إليه، وتأكيد على أن المشار إليه حقيقة حاضرة ممكنة المشاهدة والوصف، ثم يتأكد حقيقة هذا الحضور أكثر وأكبر بإضافة دلالة "الحق" في وصفه، فورد "اليوم الحق"، ثم تُضَاف دلالة العظمة لهذا اليوم وشدة وقعه على الخلق في تعريفه بالألف واللام؛ لتأكيد الصفات المشار إليها فيه، وكأن ما عداه من الأيام المشهورة في تاريخ البشر غير ثابت الوقوع: (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفّاً لا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً (38) ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآباً (39)).

إن دلالات التهديد والزجر في: "كلا سيعلمون "، "ثم كلا سيعلمون" التي وردت في مطلع السورة موصولة بمعاني: "يوم ينظر المرء ما قدمت يداه، ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابًا" التي وردت في خواتيمها، وتناسبها[36]، إذ تلقي خواتيم السورة بخاتمة حياة من كفر بالحق وجحده، وتلقي بظلال الندم الشديد الذي يتمنى فيه الكائن الإنساني أن ينعدم ويصير إلى عنصر مهمل زهيد[37]، وكأن هذه النهاية تحقيق لما أشارت إليه السورة في بدايتها من حقائق، وحصول العلم الذي حذرت منه في: "**كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون**"، ويزيد من تأكيد معاني الحضور لهذه الحقيقة الفعل المضارع: "ينظر" و "يقول".

المستوى الثالث:

35 ينظر، ابن عاشور: التحرير والتنوير، ص 47.

36 ينظر، الزمخشري: الكشاف في حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل، ج4، ص 27.

37 قطب: في ظلال القرآن الكريم، مجلد 6، ج30، ص 3808-3809.

في بنية الحجاج الفنية:

إن هذا النوع من الحجاج هو الأكثر تأثيرًا في المتلقي، وتجسيداً للحقائق ومعانيها، سنبرزها في الآتي:

"وجعلنا الليل لباسًا":

إن ذِكْر: "الليل لباسًا" ورد في سياق ذكر الله (تعالى) نعمه على الإنسان، وفضله عليه بِمِنَحِه الكثيرة والوفيرة، فشبه "الليل" بـ"اللباس"، وهو محمول على معنى ما يلبسه الإنسان من الثياب فيكون وصف الليل به على تقدير كاف التشبيه البليغ، ويفيد الاستدلالات الآتية.

أولًا- إن الليل ساتر للإنسان كما يستره لباسه؛ ومن ثم كان في هذا مشابهة في الرفق باللابس والملائمة لراحته؛ إذ إن الليل فيه راحة الإنسان، وهو محيط بجميع حواسه وأعصابه ..

ثانيًا- إن في اللباس وقاية لصاحبه، وكذلك الليل يقي الإنسان من الأخطار والاعتداء عليه، وكان العرب لا يغير بعضهم على بعض في الليل[38].

ثالثًا- وتقديم الليل في مراتب الذكر قبل ذكر النهار موصول بالحقيقة الكونية التي فيها حضور لليل أكثر من النهار، فالليل في الكون يزيد عن نسبة (70%)، وكذلك ذكر الليل يتسع للمادي والمعنوي: فالجهل ليل، والحيرة والشك ليل كذلك، والكفر ليل، وبهذا تلتقي هذه الصورة مع فكرة الشك والاختلاف عن اليوم الآخر والبعث بعد الموت التي هي أسّ موضوع السورة وأساسه ..

"وبنينا فوقكم سبعًا شدادًا":

إن الاستعارة من وسائل الحجاج التي تفيد في إقناع المتلقي والتأثير عليه، يقول الجرجاني: "فقد حصل من هذا الباب أن الاسم المستعار كلما كان قدمه أثبت في مكانه كان موضعه من الكلام أضمن به، وأشد محاماة عليه .. فأمر التخيل فيه أقوى، ودعوى المتكلم له أظهر وأتم"[39]، وتكتسب الاستعارة تأثيرها في المخاطب وتثير انتباهه بغرابة تصويرها للمعنى، وبعدها في التعبير عن العادي والمألوف[40]، وهذا حاصل في هذه الصورة الاستعارية؛ إذ نجد فيها من معاني الاستدلال وجمال التأثير الآتي:

أولًا- استعارة البناء المادي المحسوس لبناء السماء ؛ومن ثم تجسيد الحقيقة الغائبة وغير

38 ينظر، ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج3، ص 20-21.

39 الجرجاني، عبد القاهر: أسرار البلاغة، تح: عبد الحميد الهنداوي، ص:279.

40 درنوني: الحجاج في النص القرآني، ص:78.

المدركة بالحقيقة التي ندركها ونحس بها وتراها أعيننا، وهو البناء المادي المعروف؛ وجامعهما هو القوة، والتماسك، والإتقان؛ وبهذا تتعزز معاني القدرة المطلقة لله (تعالى) في خلق الموجودات الكونية العظيمة، وتبرز معالم الإتقان لهذا الكون وإحكامه ..

ثانيًا- كانت الإشارة الحسية أقرب لحس المخاطب، وإلى تكوين صورة مجسدة لتناسق الكون وترابطه؛ ومن ثم التأثير فيه .

ثالثًا- إن دلالة المفردة "فوق" تشير إلى الفضاء الفسيح فوقنا حيث لا قواعد، ولا أعمدة، ثم يقترب الأداء اللغوي في تأثيره على المخاطب أكثر وأكبر، فيُخَصّص توجيه الخطاب بضمير المخاطبين المعنيين بخطاب الآيات، والمُسْتَهْدَف التأثير فيهم فورد: "فَوقَكُمْ".

رابعًا- عقب ذكر "فوقكم" بذكر "سبعاً" ولم يرد ذكر "السماء" لاستدعائها في السياق دون تصريح بها؛ ومن ثم حصرت الآية ذهن المخاطب في صفة هذه السبع لا في اسمها فذكرت "شِدَادًا"، وبهذا تنقطع أحوال الوَهَن وصفات الضّعف التي قد ينشغل بها الذهن لهذه السماء حال ذكر "فَوقَكُم سَبْعًا"، ويتأكد قوة البناء لها وشدته بإضافة هذه الصفة لها .

المستوى الرابع:

في بنية الحجاج المنطقية:

نبرز في هذه الفقرة الدلائل الكونية ونظامها المنطقي الدقيق الذي يجمع بينها، ونناقش مراقي سلمها الحجاجي، ومراتب عناصره في الآتي:

السلم الحجاجي:

عندما تقوم بين الحجج المنتمية إلى فئة حجاجية ما علاقة ترتيبية معينة فإن هذه الحجج تنتمي إلى السلم الحجاجي[41]؛ فالسلم الحجاجي بنية متنامية لمراتب الحجج، وبالضرورة لابد أن يتسم بسمتين[42]، الأولى: كل دليل يرد في درجة من السلم الحجاجي يكون الدليل الذي يعلوه أقوى منه، والأخرى: إذا كان الملفوظ "ب" يؤدي إلى النتيجة "ن" فهذا يستلزم أن "ج" و "د" الذي يعلوه درجة يؤدي إليها؛ ومن ثم يعمد السلم الحجاجي إلى معطيات مراتب تكوينية لغوية وواقعية، تعمق فكرته، وتفصل حقائقها، وتقوي تماسك عناصره التكوينية لغويًّا

41 علوي : الحجاج مفهومه ومجالاته، ج1، ص:18

42 ينظر، علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته، ج1، ص:58

وواقعيًّا .

ويبرز في دلائل التكوين اللغوي والوجودي ومراتبهما العلاقات الآتية:

أولًا– علاقة الاحتواء:

إذ بدأت الآيات بذكر الأرض، والعلاقة التي تقوم بينها وما ذكر بعدها من جبال وإنسان هي علاقة الاحتواء، والإنسان يحوي النوم وهو يحتويه كذلك، والليل يحوي النائم ويغشى الحياة وأشياءها ويحتويها، ثم في مقابل هذه الدلائل الأرضية دلائل السماء، إذ نجد علاقة الاحتواء ظاهرة في أشيائها، فالسماء تحتوي ما بعدها من شمس، ومعصرات، وماء، ثم المعصرات تحتوي الماء، والماء يحوي مادة الحياة للموجودات النباتية والحيوانية، وهذا الاحتواء رتبيٌّ، أي كل سابق يحتوي لاحقه في تَرَقٍّ رُتَبِيٍّ من الأدنى إلى الأعلى، أو من القليل إلى الكثير، أو من الأصغر إلى الأكبر .. ونحو هذا.

ثانيًا– جماليات التناسق والتوازن:

تُبْرز التقابلات بين دلائل مشهديّ الأرض السماء توازنًا بديعًا، مع تَرَقٍّ في الذكر لموجوداتهما، فذُكِرَت السماء، فالشمس، فالمعصرات، فالماء، في مقابله ذُكِرَت الأرض، فالجبال، فالإنسان، فالليل والنهار، فاتَّزن بهذا التقابل البديع هذان المشهدان، ثم اتصل هذا التوازن بجماليات التناسق لأجزاء هذين المشهدين، إذ ورد توزيع أجزاء هذين المشهدين في حيز مكاني محدد، وبنسبٍ لا يزحم بعضها بعضًا، مع التَّدَرّج في الظلال الذي يحقق الجو العام المتسق مع الفكرة والموضوع [43].

وأخذت الآيات توجّه للنظر في موجودات السماء حتى وجَّه المخاطبين للنظر في دلائل السحاب والمطر، ثم إلى ما يخرج بهذا الماء من الأرض من بدائع الصنائع ومنتهى المنافع فإذا هم ينظرون من حيث صدروا [44]، وهنا تَأَمَّل تتابع استحضار أشياء الوجود ونسق عرضها الرتبي؛ ومن ثم كيف تبدو ماهية الإنسان ودوره فيها، والحيز الذي يشغله بينها في هذا الوجود، وفي هذا يتأكد الآتي:

أولًا– استثارة المخاطب وتفعيله لتتبع تكوينها العظيم، وعلاقاتها الفاعلة التي تحقق فكرة وتعالج عقيدة.

ثانيًا– الإيحاء بالقصدية من إيجاد الوجود، والغاية منه، إذ إن هذا التناسق البديع، والبناء

43 ينظر، قطب: التصوير الفني في القرآن، ص 97.

44 ابن عاشور: التحرير والتنوير، ص 28.

المنظم، والنظام الدقيق يتسع لبنية الكلمة، ويمتد لأشياء الوجود؛ ليجافي العبثية من خلقها، ويؤكد القصدية من خلقها.

ثالثًا– علاقات التنامي الرُّتَبِي:

نجد بين هذه الدلائل الوجودية علاقات توالدية، أي ميلاد اللاحق من السابق، أو نتيجة منه؛ ومن ثم يأتي السابق في السلم الحجاجي لاحقاً له في المبنى اللغوي وفي زمن الوجود .

إن وجود الإنسان غير متحقق قبل وجود الأرض؛ ومن ثم ذُكِرَت الأرض ودلائلها القريبة إلى الحس والنفس، ثم ذكرت السماء وهو فضاء واسع يحوي الشمس "السِّرَاج الوَهَّاج"، ثم إن للشمس فاعلية في موجودات أخر، فهي سبب إثارة السحب "المعصرات"، والسحب سبب حصول الماء "وَأَنزَلْنَا مِنْ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا"، والماء مصدر الحياة "لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا وجَنَّاتٍ أَلْفَافًا"؛ ومن ثم جسدت البنية اللغوية متواليات سببية حاصلة في واقع الحياة، وفي هذا ما يؤكد قدرة الله (تعالى) المطلقة في الخلق، وفي تدبيره حاجاتهم، وتقديره أرزاقهم؛ ومن ثم تلمس القلب بلمسات موحية بما وراء هذه الحياة من قصد وغاية[45].

ونجد –كذلك– متواليات لمراتب حياة تقوم على علاقات سببية، تبدأ من الميْتِ إلى الحياة ثم إلى حياة أكبر وأكثر، في: "**لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا، وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا * إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا**"، فالنبات والجنات لازم لها جراثيم بذرية لكي تطلع منها فيبقى الحبّ هو الأصل، وهو مقصود السياق، ومن الحب يكون النبات، ومن النبات يكون الجنات الألفاف؛ وبهذا تأخذ دلائل الوجود في الآيات صيرورة وتحوّل من طور لآخر.

وإن النبات يمثل حياة مصغرة للحياة الكبرى للموجودات كلها، وموت الحب موضع الشاهد في هذا السياق .

ومن صور التنامي الرتبي في زمن حصول الموجودات ما نجده في ذكر الجبال بعد الأرض، ثم ذكر الليل والنهار بعد ذكر الأرض؛ لأنهما حاصلان بحصولها، ثم كان ذكر الإنسان بعد هذا كله؛ لأن وجود الإنسان غير ممكن الحصول قبل حصول الأرض وليلها ونهارها .. وكذلك في ذكر الجبال بعد الأرض كونها عامل ثباتها وبقائها، وذكر الإنسان بعد ذكر الجبال والليل والنهار والنوم لأنها عوامل بقائه وحياته في الأرض .

وبعد هذا التنامي في الذكر لمكونات البنية الموصولة بالموجودات في واقع الحياة، نجد بعدها ذكر أحداث نهاية الكون، في سياق تتصل فيه حركة البناء في صعودها الإيجابي بالفناء

45 قطب: في ظلال القرآن، مجلد6، ج30، ص 3809.

والتلاشي لأشياء الكون، وتمتد النهاية لكل الموجودات وتشملها؛ وفي هذه النهاية بيان لاستئناف حياة أخرى غير هذه الحياة.

رابعًا– علاقات التناسب:

إن من مظاهر التناسب الذي له أثره على المتلقي الآتي:

أولًا– مناسبة المعاني لأحوال الحياة:

فحينما ذكر (مهاد) الأرض ناسبه ذكر النوم، وحينما ذكر النوم ناسبه التعقيب بالليل؛ لأن الليل الزمن المناسب للنوم؛ ومن ثم فإن المهاد، والأوتاد، والتعقيب بالليل، ونوم الذوات يوحي بصورةٍ مكانية كبيرة وفيرة الراحة للاستراحة فيها، وعناصر تحققها هو المكان المناسب وهو الأوتاد، والموضوع المناسب وهو "المهاد"، والزمن المناسب وهو "الليل"؛ ولهذا ورد "نومكم"، وفي مقابل هذه السكنة الأرضية نجد وفرة عطاء السماء، فالشمس، فالمعصرات، فالماء، وهي مقدمات لتحقيق الحياة، وإنبات النبات، وتوفير الطعام لهذا الإنسان؛ ومن ثم تكاملت عوامل البقاء، والحياة الطيبة للإنسان من هذه العوامل الأرضية والسماوية .

ولقد ناسب الاستدلال على حصول البعث ابتداء ذكر خلق الأرض؛ لأنها مكان بعث الخلق وحشرهم فيها؛ ومن ثم كانت أسبق شيء إلى ذهن السامع عند ذكر أمر البعث، وألصق شيء بأحداثه، وذكر الجبال دعا إليها ذكر الأرض، ولتشبيهها بالمهاد الذي في البيت شبهت جبالها بأوتاد البيت تخييلًا للأرض مع جبالها بالبيت ومهاده وأوتاده[46]؛ لتقريب الفكرة الى المخاطب الذي يعايشها في حياته، وعندما ذكر السموات ناسبها ذكر أعظم ما يشاهده الناس فيها وهي الشمس، ففيها مع عِبرَة الخلق والتكوين على تلك الصفة، وفضل الله على الناس باستفادتهم منها[47].

ثانيًا– التناسب النفسي:

نجد صوراً من التناسق النفسي الدقيق لمراتب الأفكار وتواليها، وكأنها إجابات أسئلة تخامر النفس عند سماعها مضامين الآيات، فمثلاً في: "إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا"، يَرِدُ سؤال عن: لمن هذه النار؟.. فنجد التعقيب بالجواب: "لِلْطَّاغِينَ مَآبًا"، ثم يَرِدُ تساؤل عن طبيعة العذاب ومدته ..؟، فنجد التعقيب بعدها بالجواب: "لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا، لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا، إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا".. ثم قد يرد سؤال عن الحكمة من هذا كله ..؟ .. فنجد التعقيب

46 ابن عاشور: التحرير والتنوير، ص: 15.

47 المرجع نفسه.

بعدها بذكر: "جَزَاءً وِفَاقًا، إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا، وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا".

المستوى الخامس:

في الإطار الكلِّي للسُّورة:

إن الاطار العام للسورة تشكله ثنائيات عدة، أبرزها الآتي:

أولًا– ثنائيات دلائل الموجودات:

لقد ورد توزيع المتواليات الرتبية من قوله (تعالى): ''أَلَمْ نَجْعَلْ الْأَرْضَ مِهَادًا'' إلى قوله (تعالى): ''وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا'' في ثنائيات، وهي ثنائية الليل والنهار، وثنائية السبات والمعاش، والذكورة والأنوثة، ثم تتسع ثنائيات بناء السورة للأرض وما فيها من موجودات، في مقابل السماء وما فيها –كذلك– من موجودات ..

ثانيًا– ثنائية المظْهَر والمُضْمَر:

ونجد في معطى السورة الكلي ثنائية المُظْهَر والمُضْمَر، فاستدلالات الحجاج بدلائل الوجود الكونية التي أشارت إليه الآيات في قوله (تعالى): "أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا ؟!" .. حتى قوله: "وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا؟!" مُظْهَرَةٌ، وهذه الدلائل المُظْهَرَةُ موصولة بالحقائق المضْمَرَة في النفس والفكر التي تستهدف السورة جلاء الحق فيها، ودفع جَهْلِها به، وهذا المضْمَر هو موضوع السورة الرئيس الذي أشارت إليه في مطلعها؛ ومن ثم ندرك عمق الخطاب القرآني وشموله، فهو يصف أحوال النفس المُضْمَرة كما يعالج أحوالها الظاهرة، وكان لهذا أثره في توظيف الخطاب القرآني أساليب متعددة ومتنوعة، تؤسس للفَهْمِ، وتوجه المعنيين بالخطاب للأخذ بقضيته، وتحقيق مقاصده .

ثالثًا– ثنائيات البناء والهدم:

ويبرز في الآيات حركة أحداث الفعل في اتجاهين متناقضين الأول في البناء في مقابل آخر في الهدم، إذ نجد في الآية: "ألم نجعل الأرض مهادًا ؟!" حتى الآية "وجنات ألفافًا" معاني البناء والتكوين، وهذا التنامي والبناء في الحياة وموجوداتها يقابله في اتجاه آخر أحداث "هدم" للحياة، وتلاشي الموجودات وذهابها، في: (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا * وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا * وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا)؛ ومن ثم يتأكد من هذه المعاني الحقائق الآتية:

أولًا- زمنية الموجودات في هذه الحياة، وعدم ثبوتها على حالٍ واحد.

ثانيًا- إن فكرة (إيجاد الحياة) أساسية في الأداء اللغوي للسورة؛ ومن ثم ناسب أن تأخذ مشاهد دلائلها مساحة أكبر، وتفصيلاً أكثر؛ لأنه موضوع الحجاج، ومادة الاحتجاج والاستدلال.

ثالثًا- إن التناسق بين أشياء الوجود وتكاملها آية من آيات الله الدالة على قدرته النافذة فيه.

رابعًا- تنبيه المخاطب إلى القوة الفاعلة لإيجاد الوجود وبنائه، باستحضارها في بنية الفعل المبني للمعلوم: (نجعل، وخلقنا، وجعلنا، وبنينا، وأنزلنا، لنخرج)، أما في سياق الهدم فكان مقاصد السياق تكثيف دلالة التلاشي للأشياء وذهابها؛ ولهذا بنيت الصيغ الفعلية للمجهول:" يُنْفَخُ، فُتِحَت، سُيِّرَت".

وتشكل الإطار العام للسورة –كذلك- تحولات في الأداء اللغوي المعبرة عن معاني كثيرة، أبرزها:

أولًا- التحوّل في السرد والترتيب:

"إن نموذج الحجاج هو قياس التمثيل، إذ المعروف أنه هو الاستدلال الذي يختص بالخطاب الطبيعي، في مقابله البرهان هو استدلال يختص بالقول الصناعي"[48]؛ وبهذا فإن ذكر مثال الشيء فيه بيان لهذا الشيء وحالاته وصفاته؛ ومن ثم عدل السياق القرآني عن الجواب عن تساؤلهم عن النبأ العظيم مراعاة لحال المخاطبين النفسية والفكرية، ليمثل بدلائل الوجود، ويذكر "ما هو واقع بين أيديهم وما حولهم وفي أنفسهم، وما في الكون من أمر عظيم كذلك، ليدل على ما وراءه ويوحي بما سيتلوه[49]، فورد قوله (تعالى): (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا * وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا * وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا * وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَادًا * وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا * وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا * لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا * وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا)؛ إذ تحث معاني هذه الآيات على التفكر في حقائق العين لتأكيد حقائق الغيب؛ وبهذا لم يبعد السياق القرآني عن القصد

48 طه عبد الرحمن: اللسان والميزان ،ص: 232

49 قطب: في ظلال القرآن الكريم، مجلد 26، ج30، ص 3802.

بهذا العدول، وإنما اقترب منه بإيجاد دليل القصد"[50]، فلما أخذهم بالحجة، واستثار النفوس بجلاء الحقيقة، تحول إلى تفصيل ما تساءلوا عنه وبيَّن أحواله، فذكر نفخ الصُّور، وذَهَاب الكون، ثم ورد ذكر يوم الفصل وأحوال الخلق فيه.

ثانيًا– التحول في جرس الصوت:

ونجد لجرس صوت حروف الفاصلة له أثره ودلالاته[51]، إذ نجد جرس صوت حروف الفاصلة في: (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ * الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ * كَلَّا سَيَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ) هي: "**الواو + النون**"، ونلحظ في ضَمِّ الشفتين بنطق صوت حرف الواو، وكذلك ثقل صوت هذا الحرف، مع صوت حرف النون بعده يشكّل جرسًا صوتيًّا خافتًا ومكتومًا، كأنه يحاكي الفكرة الغائبة والمضمرة في القلوب، والمحبُوسَة –كذلك– في النفوس، ثم عدل عن صوت هذه الفاصلة الثقيل في حال الانتقال إلى دلائل الخلق الظاهرة في:(أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ **مِهَادًا** * وَالْجِبَالَ **أَوْتَادًا** * وَخَلَقْنَاكُمْ **أَزْوَاجًا** * وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ **سُبَاتًا** * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ **لِبَاسًا** * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ **مَعَاشًا** * وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا **شِدَادًا**.. الخ)، إذ نجد جرس صوت الفواصل يوقظ الحس، ويشد النفس لقوته، وذلك لجرس أصوات حروف الدال والجيم والتاء والسين والشين .. وانفتاح صوت حركة الفتحة في حروف الفاصلة وامتداداتها الصوتية الطويلة التي تناسب عرض الحجج وتقديم دلائلها؛ ومن ثم حصل التأثير على المخاطب بدلائل الموجودات المشاهدة، وبشدة جرس أصوات حروف الفواصل التي استمرت حتى أُسْدِل الستار على أحداث هذه السورة ومعانيها، في نبرةِ يأسٍ ملهوفةٍ، وأمنية تحشرج بها صدور المنكرين للحق، فتقول: "يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا".

رابعاً– الخاتمة:

يخلص البحث إلى التأكيد على أن هذه "الجولة التي تنتقل في أرجاء هذا الكون الواسع العريض في سورة النبأ، وهذا الحشد الهائل من الصور والمشاهد فيها، تُذْكَر في حيِّزٍ ضيق مكتنز بالألفاظ والعبارات، مما يجعل إيقاعها في الحس حادًا ثقيلًا نفاذًا كأنها المطارق المتوالية بلا فتور، ولا انقطاع.."[52].

ولقد تأكد للبحث أن **التمكن الصوتي** لنهاية فواصل الآيات هو صوت الفتح، في

50 الشعراوي: المنتخب، ج2، ص 46.

51 قطب: التصوير الفني في القرآن الكريم، ص 86.

52 قطب: في ظلال القرآن، مجلد 6، ج30، ص 3804.

الحرف الأخير للفاصلة، وأن الأصوات حروف الفاصلة الأخيرة الغالبة، هو صوت حرف "الباء" الذي ورد في (17) فاصلة، ثم يأتي بعد هذا الحرف صوت حرف الدال الذي ورد في (4) فواصل، ومثله صوت حرف النون، وصوت حرف الجيم، ثم صوت حرف التاء الذي ورد في (3) فواصل، ومثله صوت حرف القاف، ثم صوت حرف الميم الذي ورد في فاصلة واحدة فقط، ومثله صوت الفاء، وصوت السين، وصوت الشين، وصوت الزاي..

ونلحظ أن **للتمكن الصوتي** في الفواصل إيقاعًا جماليًا مؤثرًا ومفيدًا، وعلته ثلاثة أمور، **الأول**: حركة فتح الحرف الأخير من الفاصلة وامتداداته الصوتية الطويلة، وهذا مناسب لمعاني البيان وحججه، **والثاني**: هو تجانس حركات أوزان الصيغ المشتقة المكررة وسكناتها في نهاية الفواصل، وأكثرها صيغة **"فعَال"** التي وردت في سبع عشرة فاصلة، وهي: "سبات، ولباس، ومعاش، وشداد، ونبات، وسراب، وشراب، ووفاق، وحساب، وكتاب، وعذاب، ودهاق، وحساب، وخطاب، وصواب، وتراب"، ثم صيغة **"أفعال"** التي وردت في ثماني فواصل، وهي: "أوتاد، وأزواج، وألفاف، وأفواج، وأبواب، وأحقاب، وأعناب، وأتراب"، ثم صيغة **"فعَّال"** التي وردت في خمس فواصل فقط، وهي: "وهّاج، وثجّاج، وغسّاق، وكذّاب، وكذّابا".

والثالث **والأخير**: هو تكرير صوت الحرف الأخير نفسه، في متواليات فواصل عدة؛ ومن ثم يشكل صوت الحرف المكرور في نهاية مفردة الفاصلة مجموعات صوتية متجانسة، أبرزها مجموعات صوت حرف "الباء"..

وتظهر مجموعات الأصوات المتجانسة في نهاية الفواصل في متواليات صوتية كالآتي:

"ن م ن ن ن د د ج ت س ش د ج ج ت

ف ت ج ب ب د ب ب ب ق ق ب ب

ب ب ز ب ب ق ب ب ب ب ب ب ب"

ولقد ظهر في البحث أن تعديد مفردة دليل **تمكنها الدلالي** في السورة؛ ومن ثم فإن مفردتي "جعل" و"كان" متمكنتان دلاليًا، لتعديد ذكرهما في السورة، إذ وردت "جعل" مُظْهَرَة خمس مرات، وناسبت معاني البناء والخلق والتكوين التي وردت فيها، ووردت "كان" ست مرات، وناسبت المعاني التي وردت في أحوال نهاية الكون، وقيام القيامة، وتعذيب المكذبين .

وتأكد للبحث –كذلك– أن في البنية الاستدلالية في سورة "النبأ" تغليبًا لصيغ الأفعال في بداية الآيات، وهذه الأفعال تؤدي وظيفة حجاجية، تفيد في توجيه المخاطب، وتؤثر فيه،

وإن صيغ الفعل في مفتتح البُنَى التركيبية لمعاني تكوين الكون، وإيجاد الخلق، وكذلك في آيات هدم الكون، وذهاب نظامه ودماره تصور أحداثها، وتجعلنا نعايش أحوالها أكبر وأكثر .

وظهر في البحث تميز البنية التركيبية في الآيات بأمرين، الأول: خضوع حججها للترتيب والتنظيم، والآخر: التكثير لمشاهد الحياة في الآيات، والتعبير المناسب عنها، وفي حيِّزٍ محدود؛ وثمرة هذا هو الإيقاع السريع لأداء السورة، والتكثيف الكبير لمعاني الآيات وصورها التعبيرية الموصولة بواقع الحياة .

وظهر في البحث –كذلك– أنه كلما اتسعت البنية اللغوية تعددت آليات بيانها وتنوعت؛ ومن ثم قَوِيت حجتها وتأثيرها، وأن الحجاج في سورة النبأ أخذ بقوة بيان أداء اللغة، ثم بما تؤول إليه من حقائق الوجود، وَمَشَاهد الحياة الحاضرة والملموسة للاستدلال بها على الغيبي وغير المشَاهَد.

وإن العلاقات المنطقية في مُعْطَى البنية اللغوية الموصولة بالكوني والإنساني في واقع الحياة هي مكون رئيس في حجاج السورة وإقناعها العقلي؛ ومن ثم يتصل عالم النص بعالم الحياة وأحوالها ومآلاتها، وتتصل مقدمات سورة النبأ بنتائجها، ودلالات السلب في مطلعها بسلب نهايتها، وهذه المعاني والأحوال تعبر عن مآلات ممارسات الإنسان في حياته .. في مداها القريب والبعيد.

وإن توجيه الآيات للنظر في أشياء الوجود والتفكير فيها، يُقِرُّ بضرورة هذا التفكير ويحدد أهميته؛ ويؤكد أن عظمة الشيء الذي نفكر فيه وقيمته دليل على عِظَم الفكرة الناتجة عن هذا التفكير؛ ومن ثم فإن القرآن يوجه تفكير الإنسان إلى ما هو عظيم في التأمل والنظر، وفي الفكر والتصور .

ويؤكد البحث –كذلك– على أن خطاب القرآن الكريم موجه إلى إنسان الماضي والحاضر والمستقبل، وهو خطاب يُوَصِّفُ أحوالَ النَّفس الإنسانية المضمرة، ويعالج –كذلك– أفعالها الظاهرة، وهو يُوَفِّقُ بيْنَ تداخلات المُضْمَرِ وَالمُظْهَرِ وتفاعلاتهما إيجابًا أو سلبًا؛ وبهذا اتسمت بنية الحجاج القرآني بالشمول، والاتساع، والعمق؛ ووظفت أساليب متنوعة تُؤَسِّس لِفَهْم المتلقي وإقناعه؛ ومن ثم تستنهض تفاعله الإيجابي معها.

خامسًا – المصادر والمراجع:

أولاً– القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

ثانياً- الكتب والمجلات:
ابن فارس: **مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام هارون، ط ١، دار الجيل، بيروت ١٩٩١ م.
أبو البقاء الحسيني الكفوي: **الكليات**، المطبعة العامرة، مصر، ١٢٧٨ هـ.
أرسطو: **الخطابة**، تح: عبد الرحمن بدوي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1959م
إيفانوكس: **نظرية اللغة الأدبية**، ترجمة: حامد أبو أحمد، مكتبة غريب، القاهرة، ط1، 1988.
إيمان درنوني: **الحجاج في النص القرآني** (سورة الأنبياء نموذجاً، اطروحة ماجستير، كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر.
بكري شيخ أمين: **التعبير الفني في القرآن الكريم**، دار العلم للملايين، ط7.
جار الله محمود بن عمر الزمخشري: **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل**، تح: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، 2009م،
جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: **الإتقان في علوم القرآن**، تح: مركز الدراسات القرآنية، نشر: مجمع الملك فهد، سنة 1426م.
جميل عبد المجيد : **البلاغة والاتصال**، دار غريب، القاهرة، (د.ط)، 2000م
حافظ إسماعيل علوي: **الحجاج مفهومه ومجالاته**، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010م .
حبيب أعراب: **الاستدلال الحجاجي**، مجلة عالم الفكر، مجلد 30، ع1، 2001م
الحواس مسعودي: **البنية الحجاجية في القرآن الكريم** . سورة النمل نموذجًا''، مجلة اللغة والأدب، معهد اللغة العربية وآدابها، العدد12، ديسمبر1997م
خليفة بوحادي: **اللسانيات التداولية**، مع محاولة تأصيل في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، ط1، 2009م .
الرئيس ابن سينا: **الشفاء (كتاب الجدل)**، المطابع الأميرية، القاهرة ١٣٨٥ هـ .
سيد قطب: **التصوير الفني في القرآن**، دار الشروق، بيروت، ط16، 2002م.
سيد قطب: **في ظلال القرآن**،، ط ١١، دار الشروق، بيروت ١٩٨٥ م.
صابر الحباشة: **التداولية والحجاج ومداخل ونصوص**، صفحات للطباعة والنشر، سورية، ط1، 2008
طه عبد الرحمن: **اللسان والميزان**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998م.
عبد الحليم بن عيسى: البيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم – سورة الأنبياء نموذجاً، مجلة التراث العربي، ع102، نيسان 2006م .
عبد القاهر الجرجاني: **أسرار البلاغة**، تح: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م.
عبد الهادي بن ظافر الشهري: **استراتيجيات الخطاب**، دار الكتاب الجديد، ط1، 1998م
علي بن محمد بن علي الجرجاني : **التعريفات**، تح: إبراهيم الإبياري، دار اللسان العربي، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1992م.
محمد الطاهر بن عاشور: **تفسير التحرير والتنوير**، ط ١، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤ م.
محمد بن مكرم بن منظور : **لسان العرب**، تح : عبد السلام محمد هارون، دار صادر، بيروت، مج 2، ط1، 1997م .

محمد سالم ولد سالم ولد محمد الأمين: (**مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة**)، مجلة عالم الفكر، م28، ع3، يناير- مارس 2000م

نجم الدين الطوفي: **عَلَم الجذل في علم الجدل**، (بدون تاريخ ودون طبعة).

نعمان بو قرة : **نظرية الحجاج**، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، العدد 407، آذار 2005 .

ثالثًا- المراجع غير العربية:

Perelman et Tyteca , Traite` de 1`Argumentation, e`dition de 1 Universite` de Bruxelles, 5 eme e`dition, 1992.

Michel Meyer, Questions de R he`torique, Paris: 1993.

Michel Meyer, Logigue, Langage et Agumention, e`dition Hachett:1982, -.